مجلة سوسيولوجيون P-ISSN: 2716-9170
المجلد: **الخامس**، العدد: **01**، السنة **2024** E-ISSN: 2773-3459

الصمود (فهم قيمة وممارسات العمل التطوعي للفلسطينيين خلال فترة الإبادة الجماعية)

Resilience (understanding the value and practices of volunteering for Palestinians during the genocide period)

نور محمد جبر بدر (فلسطين)، جامعة تونس
Nour_Bader1986@Yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2024/05/22 **تاريخ القبول: 2024/06/19** **تاريخ النشر: 2024/06/30**

ملخص:

تساهم الورقة في تفكيك قيمة وممارسات في ظل الإبادة اليومية في فلسطين. تستند الباحثة على مجموعة من المقابلات لأشخاص يسكنون في قطاع غزة، وبذا تصبح المقابلات حيزاً لإبراز قضايا تغيب عن الأنظار والنقاشات لصالح العمليات العسكرية، بما يسهم في إفراد مساحة سرد للأشخاص من خلال تجاربهم.

جادلت الورقة بأن ممارسات التطوع، كانت ولا زالت، تشتغل بدافع مقاومة سياسات الاستعمار الإسرائيلي اليومية في القتل والتجويع، من خلال سلسلة من المبادرات والإجراءات للنجاة. توصلت الورقة إلى أن الاستعمار الإسرائيلي استخدم سياسة التجويع كسلاح إلى جانب القتل عبر القصف بالطائرات، فيما أنتج الفلسطيني وسيلة مقاومة من خلال فتح تكيّات لصناعة الطعام وتوزيعه على الناس، وقد كانت هذه المقاومة مدفوعة بالدرجة الأولى لإنقاذ الناس من الموت جوعًا، في الجانب الآخر توصلت الورقة إلى أن الأنروا وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، لعبت دورًا مهمًا في توفير مأوى للنازحين من خلال فتح مدارسها أمامهم، وتوفير الطعام لهم.

الكلمات المفتاحية: الاستعمار الإسرائيلي، الصمود، التجويع، تكيات الطعام، الأنروا.

Abstract (in English):

Within 150 words (Time New Roman, Size 12, Interline 1) Enter your abstract, abstract

The paper contributes to deconstructing the value and practices amidst the daily genocide in Palestine. The researcher relies on a series of interviews with individuals residing in the Gaza Strip, making these interviews a space to highlight issues that are often overshadowed by military operations, thereby providing a narrative platform for individuals through their experiences.

The paper argues that volunteer practices have historically been, and continue to be, driven by the resistance against Israel's daily colonial policies of killing and starvation through a series of survival initiatives and measures. The paper concludes that Israel's colonial strategy has employed starvation as a weapon alongside aerial bombardment. In response, Palestinians have created a form of resistance by establishing soup kitchens to prepare and distribute food to the people. This resistance was primarily motivated by the need to save people from dying of hunger. Additionally, the paper finds that UNRWA (the United Nations Relief and Works Agency for Palestine Refugees in the Near East) has played a significant role in providing shelter for the displaced by opening its schools to them and providing food.

Keywords: Israeli colonialism, steadfastness,soup kitchens, UNRWA.

1. مقدمة

تكرس الصمود في فلسطين عبر مجموعة من الممارسات التطوعية، وسعى الأفراد من خلفها ضمن مبادرات فردية أو مبادرات ممأسسة، إيجاد بدائل والاستثمار في المقدرات المحلية. يطرح ريان كيتلين فكرة مفادها بأن ممارسات الصمود غطت مجموعة واسعة من التكتيكات والإجراءات، وهدفت للحفاظ على الوجود الفلسطيني على أرض فلسطين التاريخية. (Caitlin، 2015، الصفحات 299-300) من هنا، نفهم كيف أن ممارسات التطوع هدفت للبقاء على الأرض، وتجسد مبدأ الصمود من خلال تحقيق متطلبات وظروف العيش التي تبقي الفلسطيني متحررًا من الهيمنة عليه في حياته اليومية، أو تحقيق موته خلال الحرب.

اتسع العمل التطوعي ليشمل مجموعة من القطاعات الاقتصادية والاجتماعية التعليمية والخدماتية، مثل الحفاظ على البيئة والزراعة واستصلاح الأراضي، والصحة، والطفولة، والمرأة،

والمسنين، وزيارة عائلات الشهداء والأسرى، والمساعدات العينية، والعناية بالجرحى، وذلك في ظل الهيمنة على حياة الفلسطينيين، وأهمها مصادرة أراضيهم، وإغلاق مدارسهم، والتحكم في تنقلهم، واعتقال رب العائلة، أما في حالة الحرب فقد اتسعت ممارسات التطوع لغرض النجاة من الموت، مثل استقبال النازحين لبعضهم البعض، أو إنشاء تكيات طعام. توضح هذه الممارسات التكتيكات والإجراءات التي نفذها الفرد بصورة تطوعية للبقاء والاستمرار بالاتكاء على ما يملكه من مقدرات محلية، يستعين بها لكسر الهيمنة على معيشه من قبل الاستعمار الإسرائيلي، أو النجاة من تحقيق موته أثناء الحرب إما بالقتل أو التجويع.

تسعى الورقة إلى تفكيك ممارسات التطوع في سياق الاستعمار الاستيطاني في فلسطين، وتجادل بأن ممارسات التطوع، كانت ولا زالت، تشتغل بدافع مقاومة سياسات الاستعمار الإسرائيلي اليومية في القتل والتجويع، من خلال سلسلة من المبادرات والإجراءات، أكثر من كونها رغبة في تقديم المساعدة ومد العون للآخرين، وهو السياق الذي تتسم به الدول ذات السيادة. ومن هنا يكمن منطق تساؤلاتنا، كيف طور الأفراد ممارسات التطوع في ظل استراتيجية ممارسات القتل والهيمنة؟ ما هي أهمية المبادرات في تعزيز فرص البقاء للفلسطيني على أرضه؟ وكيف أثرت هذه المبادرات على قدرة الأفراد في التحمل ومواجهة التحديات؟

تفترض الورقة:

1- أن تفكيك ممارسات التطوع تتوقف على السياق الزماني- المكاني.
2- أن ممارسات التطوع قد تشكلت على الأرض، تبعًا للخطاب الوطني وممارساته على الأرض.

على المستوى المنهجي، فإن الورقة ترتكز أولًا على الرواية الشفوية- المقابلات، لتفكيك العمل التطوعي في فلسطين. تطرح إيفا ماغنوسون وجين ماريسيك فكرة مفادها، بأن هذا النهج الذي يشتمل على مجموعة من القصص، تدور حول التجارب الشخصية وتتشكل تبعًا للسياقات العامة التي تنشئ بها هذه القصص. (Eva و Jeanne، 2015، صفحة 103) وبالتالي، فإن هذا من الأهمية بحيث نتمكن من تفكيك ماهية الإبادة من خلال قصص الفلسطينيين ضمن سياقهم الاستعماري الإسرائيلي، هذه القصص الغائبة إنما تقع بحسب طرح وجيه كوثراني ضمن الذاكرة المقموعة أو المكبوتة، ذاكرة معذبين ومستضعفين في حروب استعمارية أو فترات اضطهاد، ذاكرة مهمشين في سجون أو منفيات أو معتقلات، هذه التجارب المنضوية في الذاكرة تأتي ضمن دائرة تركيز الرواية الشفوية. (كوثراني، 2015، الصفحات 19-23)، إضافة إلى ذلك لجأت الورقة للاستناد على مجموعة من التقارير حول الجوع في

غزة، ويعود السبب في ذلك إلى عدم توفر دراسات تفكك الجوع كسلاح آخر في الحرب إلى جانب القتل، وهو ما تسعى الورقة خلفه.

بالاستناد على ذلك، تنطلق الورقة باتجاهين لتفكيك ممارسات العمل التطوعي:

أولًا: سياق العمل التطوعي (بناء أنماط الإبادة)

ثانيًا: قيمة العمل التطوعي (الصمود والبقاء)

2. سياق العمل التطوعي: الإبادة الجماعية للفلسطينيين

تناقش الورقة سياق العمل التطوعي. بوصفه السياق القائم على بناء أنماط من الإبادة التي تستهدف الفلسطيني إما بالقتل، التي تبلغ ذورتها أثناء الحرب، أو السيطرة والهيمنة على الحياة أثناء محاولته تأمين متطلبات عيشه اليومي.

ينطلق التأطير الذي نتبناه من توصيف باتريك وولف للاستعمار الإسرائيلي بأنه استعمار استيطاني إحلالي، هدفه الإبادة للسكان الفلسطينيين. (Wolfe، 2006، الصفحات 387-409)، وهذا يعني بحسب مناقشة ميساء شقير لأطروحة باتريك وولف، أن العلاقة ما بين المستعمر المستوطن وبين أهل البلاد لا تقوم على استغلال العمالة الرخيصة لأهل البلاد (حتى وإن تم ذلك في ظروف معينة فهو استغلال مؤقت)، فمجرد وجود أهل البلاد على الأرض هو إشكالية بالنسبة للمستعمِر يجب التعامل معهم بالإبادة، إذ أن إبادة أهل البلاد ليست بسبب لونهم، أو دينهم أو عرقهم، أو انتمائهم السياسيّ، بل بسبب وجودهم على الأرض، فالمستعمِر لا يريد السيطرة على أهل البلاد، بل يريد إزالتهم من الوجود. (شقير، 2018)، تقودنا هذه الأطروحة، للتفكير بأن الإبادة حالة ضرورية بالمنطق لاستعماري للسيطرة على الأرض، فالأرض هي الهدف، وحتى يتسنى السيطرة على الأرض، فإنه يجب أن تتعامل السياسات الاستعمارية مع أهل الأرض ضمن مجموعة من أنماط الإبادة، قتلهم بالصواريخ والقصف، تجويعهم، تشويههم، مطاردتهم، حرمانهم من التعليم، حرمانهم من الحصول على فرصة عمل.

حاول ليفاين ومارك شيمنتش أن يؤطروا بأن ما يحدث في الحالة الاستعمارية في فلسطين هو إبادة جماعية، فوفقاً لاتفاقية الإبادة الجماعية، فإنه حتى وإن لم يشمل الموت والتدمير معظم أو حتى بعض أعضاء المجموعة المستهدفة، فإن العنف وتنظيمه "يجب أن يكون كافيا لتغيير نمط حياتها، (ليفاين و مارك ، 2018) وهو ما تؤطر له كارولين إلكينز وسوزان بيدرسين بأن هذه البنية قد اكتسبت أشكالًا مختلفة وعملت بطرق شتى حسب الظروف التي أنتجتها، (غوردون و موريل، 2016، صفحة 73) . ولئن

كانت النكبة الفلسطينية العام 1948 والتي أدت إلى مقتل الآلاف وتهجير قرابة 800 ألف فلسطيني من أراضيهم، قد شكلت ذروة الإبادة، فإن الاستعمار الإسرائيلي قد أنتج بدرجات متفاوتة أشكال متباينة من أنماط الإبادة، التي استهدفت الفلسطينيين من خلال الهيمنة على حياتهم (علاجهم، تعليمهم، طعامهم، عملهم).

يطرح مارك ليفاين ومارك شمسنتش، بأن هذه السياسات تكون متجذرة في نزع الكرامة الإنسانية للمنتمين للشعوب الأصلية، حيث يقال إن السكان الأصليين يشكلون فيها عقبات بدائية أمام التقدم الحضاري. (ليفاين و مارك ، 2018)، يُعبر عن هذا بشكل أعمق، ما صرح به وزير الدفاع يوآف غالانت في أعقاب هجوم السابع من أكتوبر، خلال اجتماع تقييم في القيادة الجنوبية للجيش الإسرائيلي: "نفرض حصارًا كاملًا على مدينة غزة، لا كهرباء ولا طعام ولا ماء ولا وقود، كل شيء مغلق، نحن نحارب حيوانات بشرية ونتصرف وفقا لذلك". (مقرر أممي: إسرائيل تستخدم الجوع "وسيلة قمع" للمدنيين بغزة، 2024) يخلص عاموس غولدبرغ إلى أن عنصرة الفلسطينيين هي الشكل الأكثر قمعًا والأكثر قهرًا وإهانة والأكثر فتكًا من أشكال الاستهداف والوصم والتبرير العنصري، (زريق، 2014، الصفحات 14-15) وهنا تجسدت العنصرة بالتعامل مع الفلسطينين بوصفهم "حيوانات بشرية".

يُخرج مصطلح "الحيوانات البشرية"، الفلسطيني من آدميته، أي من كونه إنسان، إلى كونه حيوان، ليس هذا فحسب وإنما حيوان متوحش، يجب القضاء عليه بقطع كل ما يبقيه على قيد الحياة، فالفلسطيني الذي نجى من الصاروخ، فإن قطع الكهرباء والماء والطعام والوقود سيقود إلى قتله، وهو ما نعني به أنماط الإبادة، التي لا تكتفي بقتل الفلسطيني، فتكون إبادة دموية، بل تذهب إلى استهدافه ضمن نطاق احتياجاته الضرروية للطعام والعلاج.

في السياق المقابل، نجد أن الفلسطيني ابتدع الأفعال التطوعية، لغرض البقاء والسعي إلى الحياة الطبيعية، وهو ما نعني به الصمود، عبر خلق تكيف اقتصادي واجتماعي ضمن هذه المعيقات والقيود الموجودة، وهو ما يشكل رمزاً للوجود ، يتجسد بتمكين الأفراد النجاة من الموت الذي صمم لهم، عبر النشاطات والعلاقات المرتبطة باعادة بناء الجماعة لتواجه حالة التفكك. يطرح جوهانسون وفنتيجان فكرة مفادها بأن الصمود محاولة لإجراء المقاومة دون أن تفهم بالضرورة على أنها مقاومة-أي دون تحدي مباشر لخصم مهيمن (أكثر من اللازم)، و/أو محاولة الهروب من العقاب، الكثير من منطقها هو أن تكون إما مخفية/مقنعة أو غير تصادمية، (Vinthagen، 2015، الصفحات 116-117) وهي تشمل استراتيجيات وتقنيات المقاومة التقليدية المنظمة والرسمية وذات النوايا الواضحة. (Vinthagen، 2015، الصفحات 117-118) والتي تسعى خلف الاستمرار في الحياة في ظل ظروف يومية غاية في

الصعوبة. عبر ممارسات ابتداعية تنقلت في مساحات الفضاء العام وتحول بها الجسد من كونه مستهدف بالموت، إلى كونه جسد مقاوم لموته وموت جماعته، من خلال ممارسات التطوع التي يقوم بها.

تأتي أهم الممارسات التطوعية التي ظهرت في حرب الإبادة على غزة، من خلال تكيّات الطعام، في مواجهة سياسة التجويع الإسرائيلية للفلسطينيين، وهو ما يعيدنا إلى سياق آخر مقاوم حين قرر الفلسطينين الامتناع عن الذهاب للعمل في السوق الإسرائيلي أثناء الانتفاضة الأولى، وزراعة حدائق منازلهم بالخضراوات وتربية المواشي لتحقيق نوعًا من الاكتفاء الذاتي.

3. سياسة التجويع وتكية الطعام

أشار تقرير بعنوان "مقرر أممي: إسرائيل تستخدم الجوع وسيلة قمع للمدنين بغزة"، بأن إسرائيل استعملت الجوع وسيلة قمع للمدنيين، وارتكاب جريمة إبادة جماعية، جاء ذلك في تصريحات وصف فيها مقرر الأمم المتحدة الخاص المعني بالحق في الغذاء مايكل فخري، أن استخدام إسرائيل للجوع بأنه سلاح إبادة جماعية في غزة، وتابع أن إسرائيل تدمر النظام الغذائي في غزة وتستخدم الغذاء سلاحًا ضد الشعب الفلسطيني. (مقرر أممي: إسرائيل تستخدم الجوع "وسيلة قمع" للمدنيين بغزة، 2024) يذهب التقرير إلى أن تجويع الفلسطينيين هو سلاح، وهو ما ينقلنا إلى الكيفية التي تتشكل بها أسلحة إبادة الفلسطينين، إذ ينزع بنا هذا المصطلح من كون الإبادة مرتبطة بسلاح القصف، إلى كون الإبادة مرتبطة بسلاح التجويع، فوفقًا لمنظمة "بتسيلم" مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة، فإن2.2 مليون شخص في قطاع غزة يعانون الجوع كنتيجة مباشرة لسياسة إسرائيل المعلنة التي تحرمهم من الغذاء ويلفت التقرير إلى أن سلطات الاحتلال لا تسمح إلا بدخول جزء صغير من كمية المساعدات التي كانت تدخل قبل الحرب، مع فرض قيود على أنواع البضائع، بدلًا من السماح بدخول ما يكفي من الغذاء إلى المنطقة، وشدد على أن السماح بدخول الغذاء إلى غزة التزام بموجب القانون الإنساني الدولي، ورفض الامتثال لهذا الواجب يشكل جريمة حرب. ("بتسيلم": 2.2 مليون شخص في قطاع غزة يعانون الجوع، 2024).

توضح هذه التقارير كيف أن الإبادة التي تتزامن مع القتل تتخذ أنماطًا أخرى، من أهمها تجويع الناس عبر حرمان وصول الطعام لهم، مع تدمير أراضيهم الزراعية ومخازن الطعام لديهم. إن هذه الممارسات من الأهمية بحيث تتكشف لنا كيف أن السياسات الاستعمارية لا تتكرس أثناء الحرب بممارسة القتل، بل إن هناك سياسات تكميلية للقتل بسلاح القصف، وهي تجويع الناس. المغزى في ذلك يكمن في تعريض كافة أفراد العائلة للموت، وبالتالي فإننا ننتقل من استهداف المقاوم بالملاحقة

والقتل، إلى استهداف أفراد العائلة بالقتل والتجويع، دفعًا بهم نحو الموت، وبالتالي فلسطينييون أقل في أراضيهم، إما عبر قتلهم بالقصف، أو التجويع.

في هذا السياق تأتي مبادرات التطوع للحد أو التقليل من الجوع، من بينها وأهمها، تكيّات الطعام التي أخذت تنتشر في قطاع غزة في الحرب، تتحدث رشا النجار (نازحة من غزة) عن هذه التكيات بالقول:

> "في ظل الحرب الجماعية، التي تلاحقنا أينا ذهبنا، إلا أننا نغيث أنفسنا، نريد أن نعيش، واقفين مع بعضنا، هناك مبادرات لعمل تكيات الطعام، صحيح أن هذه التكيات لا تستطيع أن تقوم بمهمة إطعام كل الناس، لكنها تقدم وتعمل تحت شعار أننا يجب ألا نموت جوعًا" (النجار، 2024).

توضح هذه الرواية مبدأ التطوع للصمود، من خلال تحقيق نجاة الأفراد من الموت جوعًا، عبر إنشاء التكيات التي تقوم على إعداد المتطوعين طعام وتوزيعه على النازحين، في تقرير بعنوان "تكايا الطعام"، مشاريع تطوعية لإطعام نازحي الحرب في غزة وسد جوع الأطفال بإمكانيات بسيطة، يتحدث أشرف الهور في هذا التقرير عن مبادرة تكية الطعام، التي أقامها مجموعة من المتطوعين في مركز إيواء للنازحين من الحرب على غزة 2024، حيث اصطف الأطفال والنساء والشباب لأخذ وجبة من الفاصولياء التي أعدها مجموعة من المتطوعين، ما يتحدث عنه هذا التقرير هو أن هذه التكية ليس لها مكان محدد، فهي تتنقل من منطقة إلى أخرى، من مراكز الإيوء إلى الساحات العامة، إلى معسكرات النازحين، ويضيف التقرير أنه على الرغم من المشقة العائلة نتيجة لانعدام توفر الغاز ووسائل الطهي، إلا أن أحدًا من هؤلاء المتطوعين لم يشتكي من هذا التعب، بل على العكس قاموا بتوفير وجبات إلى 2500 شخص("تكايا الطعام".. مشاريع تطوعية لإطعام نازحي الحرب في غزة وسد جوع الأطفال بإمكانيات بسيطة- (صور وفيديوهات)، 2024).

توضح هذه الرواية مبدأ التنقل في الفضاء العام، هذا الفضاء الذي أصبح شاهدًا على النزوح، يُعرف من خيامه، وانعدام المياه والطعام فيه، فمن مدارس الإيواء تتنقل هذه التكيات إلى مخيمات النازحين، أو إلى المساحات التي تحيط بالمستشفى، وهذا يقودنا إلى استنتاج مهم، أنه وفي ظل الحرب فإن التكيات لا يغدو لها مكانًا ثابتًا، بقدر ما تتنقل في الفضاء العام من مكان إلى مكان آخر لغرض الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الناس، الذين لم يتمكنوا من الحركة لانعدام المواصلات وقصف الطائرات، أو بسبب آلامهم، وبالتالي فإن التكية بتنقلها تحاول أن تصل للناس، لا أن يصل الناس إليها،

هذا لا يحدث خارج إطار الحرب، ففي العادة يكون للتكيات مكان ثابت، وتعمل في أوقات محددة، وفي الغالب تعمل في شهر رمضان، ولئن كانت الفكرة تنطلق من وازع ديني يتمثل بألا يجوع أحد في شهر رمضان، شهر الخير، فإن ما يحدث في إطار الحرب لا يتكرس بالبعد الديني، بقدر ما يذهب نحو تحقيق النجاة للأفراد، وهو ما يدخل في نطاق الصمود على الأرض والبقاء، وإذ ينطلق المتطوعون من ذلك، فإنهم يعرضون أنفسهم بتنقلهم في الفضاء العام الذي يتنشر به الوجود العسكري على الأرض وفي السماء لخطر الموت.

وبالتالي، نفهم كيف أن التطوع لم يعد وازعه دينيًا لكسب الأجر والثواب، أو اجتماعيًا لمد العون والمساعدة، بقدر ما أصبحت قيمة التطوع في هذه التكيّات، تتجسد بمخاطرة المتطوع بحياته للقيام لإنقاذ الناس من الموت جوعًا، والذي يشكل دافعًا لتحدي تحقيق موت الفلسطيني، الأمر الذي اتسعت معه دائرة المتطوعين، ففي تكية شهداء الأقصى التي يعمل بها حوالي خمسة عشر شخصًا، وخلال التوزيع يبدي آخرين استعداد للتطوع للتوزيع. (حكاية "تكية شهداء الأقصى"، 2024) وبهذا المعنى فإن دائرة التطوع تتسع وينضم إليها أفراد آخرين للقيام بمهمات إعداد الطعام، أو توزيع الطعام على النازحين، ويكون ذلك مدفوعًا بالرغبة في تحدي الموت عبر تأمين القليل الذي يبقي الفرد على قيد الحياة.

وعلى الرغم من أن هذه المبادرات ليست بالقدر الكافي لإنهاء حالة الجوع، إلا أن هذه المبادرة تحمل في طياتها جانبًا من المحاولة، محاولة توفير القليل لمن أنهكهم الجوع حتى في ظل ارتفاع الأسعار بشكل كبير، وانعدام توفر الخضرروات واللحوم، تتحدث السيدة لبنى الحسن (اسم مستعار) بالقول:

> الناس أنهكها الجوع والعطش، دمرت نفسيًا واجتماعيًا، كل مقومات الحياة صعبة جداً، كثير شبابا يطوعوا لعمل التكيات، لكنها لا تكفي لسد جوع الناس، يعني مثلا بدك تروحي طابور على التكية، ويمكن يظل وما يظل الك أكل، ولكن احنا كأهل غزة طبعنا فيه المودة والحرمة والشفقة بين بعضنا، حاسسين في بعض، معي خبزة بتقاسمها أنا وجارتي، سلفتي، قريبي، ما برضى آكل شغله وسلفتي ما معها، لو نسد نص جوعنا". (الحسن (اسم مستعار)، 2024).

تنقلنا هذه الرواية إلى التكافل الاجتماعي بين الناس، حتى في ظل مواجهتهم لشبح الجوع، من خلال التركيز على فكرة الطبيعة البشرية لسكان منطقة معينة، وهي المودة والرحمة فيما بينهم، هذا التكافل الغير رسمي الذي يعرفه إبراهيم محاجنه بكونه «تلبية متطلبات الفرد بمساندة البيئة المحيطة به

ودعمها سواء من قبّل أفراد أو من قِبّل جماعات تخفف من أعباء الحياة الضاغطة التى يتعرض لها وتمكنه من مواجهتها والتعايش معها (محاجنة، 2016، الصفحات 68-69)، هذا التكافل هو مبادرة تطوعية يقوم بها شخص بتشارك القليل الذي يملكه مع الآخرين، ما يساعد الجماعة في الصمود في وجه ما يسميه شلومو غازيت أساليب العقاب الذكي (غازيت، 2001، صفحة 61) والتي نجدها في الحرب على غزة بأنها تجسدت من خلال تجويع الناس، فقد أنتج التجويع مقاومة عفوية تطوعية من خلال التكيات، التي لم يقتصر العمل فيها على الطبيخ والتوزيع على الناس وتأمين الخضراوات والدجاج، بل اتسع ليتشارك الأفراد مع بعضهم البعض ما يحصلون عليه من طعام.

ما تنقلنا له رواية السيدة رشا النجار هو الموقف الذي حدث مع ابنها خلال توزيع وجبات طعام على العائلات النازحة، تقول:

> يعني بدي أحكيلك هالموقف الي صار، قبل رمضان بكم يوم، أجى متطوع وزع رز بقطعة دجاج، والله العظيم يا ريت صورتلك فرحة ابني بقطعة الدجاج، الفرحة التي دخلت على قلب ابني بقطعة الدجاج،حتى أجاني على الغرفة مخبي صنية الرز، بناديني ماما مفاجأة مفاجأة مفاجأة، كبسة ورز، قبل كنا ناكل أفخم أكل، نروح على مطاعم، صرنا لما شفنا نص دجاجه، ما بعرف كيف بدي أعبر عن هذا الشعور، هاي قطعة دجاج يومها جابو لكل عيلة صينية رز بقطعة دجاج، فرحتنا مش طبيعة، كيلو اللحمة وصل 150 شيقل ومش موجود في رفح، في دجاج، ولكن الدجاج مجمد وسعرها 85 شيقل (النجار، 2024).

في هذه الرواية نجد الألم الذي تعيشه العائلة في غزة بسبب عدم توفر الطعام، وارتفاع الأسعار أضعاف كثيرة، وهو ما يعيد بالذاكرة إلى الماضي، إلى اللحظة التي كانت فيها العائلة تشعر بالشبع، حين كانت العائلة تحصل على طعامها، بحيث نفهم من خلال ذلك بأن أساليب العقاب الذكي التي تلجئ إلى تجويع الناس، تنشئ حالة من الخوف على الأطفال في العائلة، الذين قد لا يستطعيوا الصمود طويلًا أما الجوع، وتبين هذه الرواية كيفية استشعار الأطفال لهذا الجوع، فامتلاك قطعة الدجاج أصبح مفاجأة. ما توفره هذه التكيات التقليل من هذا المعاناة، وصولها للناس، وتوزيعها للطعام عليهم.

نلحظ أيضًا أن هذه التكيات التي تنقلت في الفضاء العام، من مكان إلى مكان آخر، بوصفها حاجة ضرورية لإنقاذ الناس من الجوع الذي يتعرضون له، إلا أن هذا التنقل لا يمكن النظر له كحالة تدخل طارئة. بقدر ما يحصن صمود الجماهير، هذا ما يمكن أن نلحظه في نقاش نبيل بدران حين يشرح كيف

أن هذا العمل ينظر له على أنه تخط للمشاكل الطارئة، أو يجرب إبرازه كبرهان على نشاط اجتماعي لتنظيم معين، ولم يكتشف الضرورة العضوية للعمل الاجتماعي كتحصين لصمود الجماهير وتطوير قدراتها (بدران، 1978، صفحة 61). أهمية هذا التحصين تأتي من السياق الفلسطيني، وهو وجود استعمار يستهدفهم بالموت أثناء حياتهم، هذا الهدف يطرحه بسام الشكعة ومحمد ملحم، إدراك الناس أن الاحتلال لم يأت لينسحب، بل هو يخطط ليبقى (شهريات، 1980، صفحة 68) .

يعيدنا هذا النقاش إلى سياق فترة زمنية تحدى فيها الفلسطيني الجوع، وهي فترة الإنتفاضة الأولى، في تلك الفترة وجد الفلسطينيون أنفسهم بأنهم عاطلون عن العمل، إما بسبب انقطاع تصاريحهم على خلفية نشاطهم المقاوم، وإما بسبب طلب القيادة الوطنية الموحدة من العاملين الامتناع عن الذهاب للعمل في السوق الإسرائيلي لمقاومة تبعية الفلسطيني لهذا السوق، وفي هذا أصبح الفلسطيني معرض للجوع، فقد انقطع عن العمل، وفقد الكثير من الفلسطينيين أراضيهم الزراعية بسبب الاحتلال، لذلك ظهرت مبادرة مهمة وهي زراعة الحدائق المنزلية بالخضراوات وتربية المواشي والحيوانات بها، ومن خلال انتهاج هذا النوع من المقاومة في تحقيق الاكتفاء الذاتي، والذي نشئ معه نظام المقايضة، حيث تطوع الناس فيما بينهم لتأمين احتياجاتهم من خلال التبادل فيما بينهم.

يتحدث عن ذلك السيد السيد علي حمدان، حين يقول:

> "صرنا نزرع، رجعنا للأرض وتركنا العمل في إسرائيل، الي [الذي] عنده أرض صار يزرعها، أصبحنا نزرع حدائق المنزل، نزرع كل اشي نحتاجه، أصبحت منظمة التحرير الفلسطينية توفر الخرفان الروماني، الخرفان الي [التي] تحلب، نعمل حليب وجبنه، ولما تخلف الخرفان نوزع على بعض" (حمدان، 2022).

يتلاق ذلك مع رواية السيد تيسير وهدان:

> في الانتفاضة الأولى ازدهرت الزراعة البيتية بشكل كبير، أصبحت الناس تزرع في قناني المياه، في أي دلو، وصارت الناس تعتمد على حالها، وبرزت المقايضة، صارت الناس تعطي بعض من الخضراوات التي تزرعها، واعتمدت الناس على نفسها، واستطاعت الصمود بذك، وحققت التكافل بين الناس (وهدان، 2020).

إن فكرة التبادل هنا يطرحها صيام شحاتة بكونها تحقق نوعًا من التضامن الاجتماعي، إذ من خلالها يتبادل الأفراد نشاطهم بهدف تحقيق أقصى إشباع ومنفعة في الوقت (شحاته، 2005،

الصفحات 90-91)، وهو ما أشارت له أميرة حبيبي بكونه قد بدأ يتحقق في مرحلة ما بعد النكسة حين بدأت النشاطات والعلاقات المرتبطة باعادة بناء الجماعة لتواجه حالة التفكك فبدأ العمل المتعمد والرسمي لاغاثة ضحايا الكارثة، وبدأ المجتمع باعادة تنظيم نفسه (حبيبي، 1976، صفحة 60).

في الجزء التالي سوف نناقش كيفية إغاثة الفلسطينيين خلال الحرب، من خلال دور الذي تلعبه الأنروا، وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، ولئن كان هذا الدور له من الأهمية الكبيرة في فتح المدارس أمام النازحين للنوم بها، وتوفير وجبات للنازحين، إلا أن الأنروا باتت اليوم تلاحق لإنهاء دورها.

4. سياسة الملاحقة للأنروا "وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينين"

نتحدث عن سياسة أخرى لتجذير التجويع، ومنها ملاحقة الأنروا والخدمات التي تقدمها الأنروا، فالأنروا تتصارعها أنياب السياسة لإنهاء دورها في توفير متطلبات العيش للنازحين، من ذلك قطع التمويل المخصص لوكالة الأنروا، كما يوضح ذلك التقرير الذي أعده رامي سمارة، فقد أعلنت تسع دول (حتى إعداد التقرير) تعليق تمويلها لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، بما يهدد استدامة الخدمات الحيوية والمنقذة للحياة التي تقدمها الأونروا لملايين اللاجئين في مناطق عملياتها الخمس، لا سيما قطاع غزة، وقد عبر المفوض العام للأونروا فيليب لازاريني، أن أكثر من مليوني فلسطيني في غزة يعتمدون على الوكالة من أجل البقاء على قيد الحياة.

تتحدث عن ذلك السيدة روان الباشا بالقول:

> أول ما نزحنا كنا بالشارع، ندور على خيمه، ما لقينا، روحنا على مدارس الإيواء التابعة للأنروا، الناس مثل يوم القيامة، بس احنا كلنا استقبلنا بعض في بيوتنا، والله نزحنا ومعنا كرت المؤن، وقعدنا نستنى الأنروا تجيبلنا أكل وتجيب خيام نقعد فيها. (الباشا، 2024).

يتلاقى ذلك مع ما تتحدث به دعاء إدريس بالقول:

> عندما بدأت الحرب ذهبت إنا وبناتي الثلاث إلى مدرسة تابعة للأنروا، وهي بالأصل مدرسة بناتي الثلاث، هناك بحثنا عن الأمان، صحيح أنه تم قصف مدارس للأنروا واستشهاد العشرات من الناس، إلا أنها أكثر أمانًا من البيت (إدريس، 2024).

في الحرب الأخيرة على غزة، شكلت مدارس الأنروا الحيز الأهم الذي لجئ إليه الناس هروبًا من القصف والموت، واستطاعت الأنروا توفير بعض الوجبات للجائعين في غزة، ولكن سرعان ما انخفضت هذه الإمكانية بسبب التضييق الذي تعرضت له الأنروا من قبل السلطات الإسرائيلية، وأيضًا بسبب القصف الذي تعرضت له هذه المدارس، فعلى سبيل المثال تعرضت مدرسة الفاخورة في جباليا والتابعة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين، وقد أوقع عشرات الشهداء الفلسطينيين، شهداء جائعين. وهو ما يعيدنا إلى صرخة الأم في غزة التي صرخت بالقول بيكفي يا عالم بيكفي نحنا ناس غلابة، أقصفوا.. الأولاد ماتوا بدون ما ياكلوا.. يشهد عليا الله الأولاد ماتوا من غير ما ياكلوا.. يشهد علي الله بيكفى يا ناس.

الأنروا لا يمكن أن ننظر لها فقط من خلال الدور الذي تقوم به في توفير لامكان والطعام للنازحين الفلسطينين، بقدر ما أن الأنورا تعبر عن هوية الفلسطيني، ولذلك فإنها اليوم تتعرض للملاحقة والتضييق علها من قبل إسرائيل لإنهاء دورها.

وعلى الرغم من الدور الكبير الذي تقوم به الأنروا في توزيع المساعدت والطعام على الفلسطينيين، إلا أن ملاحقتها لا تتعلق بدورها هذا فقد، بقدر ماي تعلق بالمعنى التاريخي الذي تحمله الأنروا، والتي تأسست وارتبطت بالمهجرين الفسلطينيي من أراضيهم، فقد شكل "كرت المؤن" التابع للأمم المتحدة وثيقة يملكها تدل على كينونة الوجود الفلسطيني، ومن هنا، من فحوى كون الأنروا الدلالة التي تعيد الفلسطيني المهجر إلى أرضه، أخذت تهاجمها أنياب السياسة والتمويل، وظهر ذلك واضحًا في حرب غزة، يستعرض كميل في مفتتح مقالته تاريخ الوكالة التي أسست في أعقاب حرب 1948م بهدف مساعدة اللاجئين الفلسطينيين "إلى حين حل مشكلتهم". واعتمدت الوكالة على التبرعات الطوعية للدول الأعضاء في الأمم المتحدة، وركزت أنشطتها في "مجالات التعليم والصحة والرعاية الصحية والبنى التحتية"، ويرى الكاتب أن الوكالة ومخيماتها في الضفة والقطاع وخارجهما "شواهد حية على جريمة العصر التي تمثلت في النكبة الناتجة عن المجازر والجرائم التي ارتكبتها العصابات الصهيونية قبل النكبة .. ثم دولة الاحتلال .. من بعدها"، ولهذا السبب، كما يقول " فكرت إسرائيل وما زالت في التخلص منها". (إسرائيل "تريد التخلص من الأونروا لشطب حق العودة" – صحيفة القدس الفلسطينية، 2024).

اليوم، تقف الأنروا في مواجهة شبح التجويع للنازحين في قطاع غزة، وفي مواجهة محاولات إنهاءها والتخلص منها من خلال قطع التويل عنها، واتهام بعض أعضاءها بتنفيذ عمليات عسكرية، إن أهمية الأنروا تكمن في الدور الذي تلعبه في صمود الناس على الأرض من خلال توفير الطعام لهم، في ظل سياسات تجويع الفلسطيين كسلاح لقتلهم، وكذلك من خلال فتح مدارسها أمام النازحين

الفلسطينين، ففي هذه المدارس مارس الأفراد بصورة تطوعية معالجة المرضى وتوزيع الوجبات على الناس.

تتحدث السيدة دعاء بالقول:

> في مدرسة الأنروا في البريج كان في دكتور، أخذ زاوية في غرفة صفية وفتحها مثل مستوصف، لأنو الأمرض انتشرت بين الناس في الندرسة، وكثير أطفال عانوا من الحرار والإسهال، كمان كانت إسرائيل ترمي علينا غاز مش عارفين شو هو، عيونا تصير تحرق كثير، كان هذا الدكتور بأدوات بسيطة جدًا يحاول يساعدنا ويساعد أطفالنا (إدريس، 2024).

ما تنقلنا له هذه الرواية جانب آخر من التطوع، الذي قام به أفراد استثمروا في معرفتهم الطبية في مداواة الآلام التي يعاني منها النازحين، وإذ قاموا بذلك فإنهم قاموا به في مدارس الأنروا التي أصبحت المركز الرئيسي لاستقبال النازحين، وأصبحت كل غرفة من هذه الغرف تأوي عشرات النازحين، وينتظر الموجودين فيها من الأنروا أن تقوم برعايتهم وتوفير الطعام لهم.

خاتمة:

تشكل التطوع بوصفه ممارسات لغرض الصمود، قامت على خلق بدائل ضمن القيود الموجودة، للاستمرار والبقاء على الأرض. نتناول العمل التطوعي من خلال مفهوم الصمود، بوصفه تكتيكًا للمقاومة سعى نحو توفير متطلبات للعيش في ظل الإبادة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني، وقد مارسها الفلسطينيون في لحظات ذورة المقاومة، أي في اللحظات التي يتم فيها تعزيز الهيمنة على حياة الفلسطينيين، كما حدث أثناء الانتفاضة الأولى، فكان الوجود في الشارع، الحارة، الحواكير، سواء في القرية أو المخيم أو المدينة لتعزيز العيش كأسلوب حياة للفلسطينيين، والذي تمت ممارسته عبر مجموعة من التكتيكات التي كان يتم الإعلان عنها وتداولها في الفضاء العام، قائمة بالأساس على ممارسة هذا النمط من خلال الناس جميعًا في كافة أماكن تواجدهم سواء قرية أو مخيم أو مدينة، وذلك في محاولة للبقاء والاستمرار بالاتكاء على ما يملكه الفلسطيني من مقدرات محلية يستعين بها لكسر الهيمنة على معيشه.فقد كان التطوع بين الناس الذي قام على محاولة تأمين الناس احتياجاتهم عبر المقايضة أو التوزيع، أو من خلال التطوع الذي قام به الفلسطينيون كإصلاح شارع أو إيصال

الطعام للمناطق المحاصرة دون تلقي قيمة مادية، أو من خلال تهريب الكتب وتداولها والتدريس الشعبي أنماط من المقاومة التي وجد الحكم العسكري صعوبة في ملاحقتها وتقيضها.

إن المساهمة البحثية تستند على تفكيك الدور الذي لعبه التطوع كصمود، للبقاء على الأرض، وفهم تجليات الوعي الذي أنتجته الجماعة أثناء الأزمة، ثم شُكِلت ممارساتهم من خلالها في حياتهم. معنى الحياة بالاتكاء على هنري لوفيفر هو ما لا نجده في أيّ شيء سوى في تلك الحياة ذاتها، فهو ضمنها، إنه الوجهة، فـ"معنى" حياة بروليتارية نجده في تلك الحياة ذاتها؛ في يأسها أو بالعكس في حركتها نحو الحرّية، ومن هنا يمكن أن نستند إلى أن معنى التطوع لا نجده إلا في في الحياة اليومية لأبناءها من خلال علاقاتهم مع بعضهم البعض وعلاقتهم مع محيطهم الاجتماعي، كحياة قامت على مبدأ الصمود كفن للعيش والبقاء على الأرض، وقد لعبت الأعمال التطوعية دورًا مهمًا في صمود الناس بوصفها السعي إلى حياة طبيعية في فضاء مستحكم به استعماريًا.

المراجع

"بتسيلم": *2.2 مليون شخص في قطاع غزة يعانون الجوع* ,2024). يناير 9 Retrieved from .(وفا: وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينيةhttps://bit.ly/3x0rlWJ :

"تكايا الطعام".. مشاريع تطوعية لإطعام نازحي الحرب في غزة وسد جوع الأطفال بإمكانيات بسيطة- (صور وفيديوهات) . ,2024)يناير 16 Retrieved from .(القدس العربيhttps://bit.ly/3IFxGi3 :

Caitlin, R. (2015). Everyday Resilience as Resistance: Palestinian Women Practicing <i>Sumud</i>. *International Political Sociology*.

Eva, M., & Jeanne, M. (2015). *Doing Interview-based Qualitative Research: A Learner's Guide.* Cambridge University Press.

Vinthagen, S. (2015). Dimensions of everyday resistance: the Palestinian <i>Sumūd</i>. *Journal of Political Power, 8*.

Wolfe, P. (2006). Settler colonialism and the elimination of the native. *Journal of Genocide Research*, 387-409.

إدريس, د ,(2024 .مارس 5) .(ن. بدرInterviewer),

إسرائيل "تريد التخلص من الأونروا لشطب حق العودة" – صحيفة القدس الفلسطينية ,2024). فبراير 5 Retrieved). from BBC عربيhttps://bit.ly/3TtR5b4 :

الباشا, ر ,(2024 .مارس 4) .(ن. بدرInterviewer) .

الحسن (اسم مستعار), ل ,2024) .مارس 3) .(ن. بدرInterviewer) .

النجار, ر ,2024) .مارس 4) .(ن. بدرInterviewer) .

بدران, ن .(1978) .التنظيم الشعبي الفلسطيني .*مجلة شؤون فلسطينية.75-74* ,

حبيبي, أ .(1976) .*النزوح الثاني "دراسة ميدانية تحليلية لنزوح 1967* .مركز الأبحاث الفلسطيني.

حكاية "تكية شهداء الأقصى ,2024) ."يناير 10 Retrieved from .(تويتر https://bit.ly/3vfrKJH :

حمدان, ع ,(2022 .مايو 31) .(ن. بدر Interviewer) .

زريق, إ .(2014) .الصهيونية و الاستعمار .*مجلة عمران للعلوم الإجتماعية و الإنسانية.2* ,

شحاته, ص .(2005) .*القهر والحيلة: أنماط المقاومة السلبية في الحياة اليومية* .جامعة القاهرة.

شقير, م .(2018) .*منظور الاستعمار الاستيطاني في فلسطين: ما بين المعرفي والسياسي والاستعماري* Retrieved from .موقع باب الواد http://bit.ly/3gKgxK0 :

شهريات .(1980) .بسام الشكعة ومحمد ملحم يتحدثان عن المواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي .*مجلة شؤون فلسطينية.108* ,

عزية, س .(18 11 ,2021) .(ن. بدر Interviewer) .

عمر, و .(18 11 ,2021) .(ن. بدر Interviewer) .

غازيت, ش .(2001) .*الطعم في المصيدة- السياسة الاسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967-1997*) .ع. الهندي ,
(.Trans مؤسسة باب الواد للإعلام والصحافة دائرة الدراسات والشؤون الاسرائيلية.

غوردون, ن & ,.موربيل, ر .(2016) .التطهير الإثني و تشكيل أنماط جغرافيا الإستعمار الإستيطاني .*مجلة قضايا إسرائيلية*.

كوثراني, و .(2015) .التاريخ الشفوي: المسوغ الإبيستيمولوجي In .*التاريخ الشفوي "مقاربات في المفاهيم والمنهج والخبرات* .pp) (19-23.المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

ليفاين, م & ,.مارك , ش .(2018) .فلسطين وإسرائيل وشعرية الإبادة الجماعية .*المستقبل العربي*.

محاجنة, إ .(2016) .تجليات التمدن الاجتماعي لسكان المدينة العربية المنشأة في ظل الكولونيالية الإسرائيلية .*مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية*.

مقرر أممي: إسرائيل تستخدم الجوع "وسيلة قمع" للمدنيين بغزة ,2024) .فبراير 6 Retrieved from .(جريدة القدس : https://bit.ly/49TOgH9

وهدان, ت ,(2020 .حزيران 12) .(ن. بدر Interviewer) .